2017-2-3

الشرق
مستمرة في الصدور منذ 1926
الجمعة 3 شباط 2017 الموافق 6 جمادي الأولى 1438 هـ السنة 90 ـ رقم العدد 20291

ذكاء إنسان «المدن الذكية» في خطر

بقلم المهندسة هيفاء العرب

كل شيء في حياتنا بات في تسارع جنوني لدرجة أننّا إذا ما صادفنا أحدهم ملقىً على قارعة الطريق، نتخطاه مسرعين في وجهتنا وكأن شيئا لم يكن!..

التطور التكنولوجي في تسارع أيضًا، إذ يحتل المرتبة الأولى في أوجه التطور الحياتي. وفي حين أنّه في الماضي القريب كان يكفي مشهد طفل يبكي لتستنكر النفوس فظاعة الحدث، بتنا نرى اليوم صور القتلى نتداولها كل وسيلة اعلامية ممكنة من دون أن يهتز لها عرش الإنسانية.. لقد بات الحس الإنساني في خطر على المستويين الفردي والجماعي، وبات على المحك أيضًا!.. فنحن لم يعد لدينا الوقت لشيء، حتى للحياة نفسها.. والأسوأ أننا نفتخر بانشغالنا في أي شيء عن كل شيء!..

بعدّ «الذكاء الاصطناعي»، برز مؤخرًا مصطلح «المدن الذكية» الذي بات قيد التداول في سياق تطور المدن. وقد صرّحت إحدى الشركات الكبرى في هذا المجال أنّه «بحلول العام 2050، من المتوقع أن يعيش 66٪ من سكان العالم في المدن. وسيكون التحدي لتزويد هؤلاء السكان بالموارد الأساسية مثل الغذاء الآمن، والمياه النظيفة والطاقة الكافية، مع ضمان الاستدامة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية الشاملة». والحل هو في خلق «مدن ذكية».

أمّا «المدن الذكية» فتشرحها موسوعة ويكيبيديا على شبكة الانترنت «أنها تعبّر عن رؤية حضارية في تنمية المدن وتطويرها على أساس المعلوماتية والاتصالات لادارة المدن بطريقة آمنة. وادارة المدن هذه تشمل على سبيل المثال لا الحصر المدارس، المكتبات، وسائل النقل، المستشفيات، محطات الكهرباء والبنى التحتية للمدينة، وحتى تطبيق القانون والانظمة المعمول بها، وغيرها من الخدمات المجتمعية».

أما السؤال الذي يطرح نفسه فهو، هل سيكون هناك مكان للذكاء الإنساني في تلك المدن الذكية؟!.. وهل كل هذا «الذكاء» الذي يرتكز على الآلة يترك المجال للذكاء الإنساني في أن يتطوّر ويأخذ دوره الفاعل في حياة الفرد؟!..

بالامكان ترك الإجابة للزمن!.. ولكن لذلك تبعات وثمن باهظ يدفعه الفرد وتدفعه المجتمعات أيضًا، وواقع حياتنا اليومي شاهد على ذلك في ظل التطور التكنولوجي غير المألوف.

في المقابل بالامكان استدراك أهمية عدم هدر الوقت لتقويم واقع مثقل بجهل الإنسان لنفسه، وبتغاضيه المرّ عن هذه الحقيقة الصارخة وتركيزه البحت على تطوير المادة. نحن نحتاج إلى وقفة حقيقة نخترق من خلالها المظاهر إلى جوهر الأمور وضروريات الحياة التي لا تقتصر على الرفاهية المادية، من دون أن نتغاضى عنها.

يقول الدكتور جوزيف مجدلاني في كتابه «تعرّف إلى ذكائك» ص15 «في منظور معرفة باطن الإنسان، اكتشافات اليوم والحضارة التقنية والالكترونية الممتازة الانجاز، قرّبت دول العالم إلى بعضها إنما ابقت الانسان بعيدًا عن نفسه، يتخبط في تساؤلاته وأولها عن تكاثر الامراض المميتة وفشل سبل العلاج».. وهنا بيت القصيد، لأن التكنولوجيا بأوجه تطورها الحالية كافة، لم تَقِ الإنسان الحروب والامراض والتفكك العائلي والانكسار الاقتصادية.. وهي لم تقدّم أيضًا رفاهية الوقت، وإلى ما هنالك من مشاكل يعاني منها الإنسان العصري. وطالما أن اهتمامات الإنسان خارجية- مادية أكثر منها داخلية-إنسانية، فهو يمعن في الابتعاد عن معرفة نفسه حقّ المعرفة، أقله ليخطّط لمستقبله بموجب إنسانيته وذكائه الإنساني قبل ذكاء الآلة والمدن..

«إعرف نفسك تعرف الله والكون». قول مأثور حُفر على معبد دلفي منذ اكثر من الفي عام. ومنذ أواخر الثمانينيات قدّم الدكتور جوزيف مجدلاني تقنية «إعرف نفسك» من خلال تأسيس مركز علم الإيزوتيريك الأول من نوعه في لبنان والعالم العربي، يقينًا منه أنه ما من ذكاء إنساني حق بعيدًا عن معرفة النفس.. فتفتيح الذكاء الإنساني يأتي أولًا قبل التخطيط لأي ذكاء اصطناعي، خارجي، مادي، جاف، لاإنساني.. وعلم الإيزوتيريك يؤكد، وكذلك طلاب علم الإيزوتيريك الذين يعتمدونه أسلوب حياة عملي تطبيقي عملاني، هذا العلم يؤكد أن الذكاء الإنساني لا يتفتّح بعيدًا عن تفتيح عاطفة الحبّ الواعي لدى الفرد، ومن أهم مستلزماته (أي الذكاء الإنساني) التطور في الوعي الفردي، على أساس تحقيق التوازن بين التطور الحياتي الخارجي (أو تطور مظاهر الحياة) والتطور النفسي الداخلي. هذا التوازن لا يحقّق رغد العيش وسعادته فحسب وإنما يلغي الصراع القائم بين الإنسان العصري والوقت، لأن نظام الحياة والوعي أوجدا الوقت لتنظيم حياة الإنسان وليس لتسخيره واستهلاك مقوّماته الإنسانية وطاقات كيانه غير المكتشفة بعد!!

التطوّر حاجة إنسانية لا بد منها، وعلم الإيزوتيريك أوضح منذ أكثر من ربع قرن أنّ للتطور شقين مادي- حياتي، ولامادي- إنساني. وما لم تع المجتمعات أهمية السير بالتوازي في هذين الشقين سنعيش في مدن ذكية لا تهدد ذكاء الإنسان فحسب، وإنما تهدّد أيضًا إنسانيته وسعادته وتوازن علاقته مع نفسه، ناهيكم عن حرمان المجتمعات قاطبة توازنها الإنساني.

التطوّر لا بد منه ولكن تطوّر وعي الفرد أولًا، والمجتمع ثانيًا، ليكون تطوّر الآلة متمّمًا ماديًا وليس محورًا أساسيًا للتطوّر يجعلنا نحيد – لاوعيًا ربّما – عن ضرورة تطوير وعي الفرد إنطلاقًا من توسيع نطاق معرفته لنفسه..

«الذكاء هو حس الجمال في بعد باطن الإنسان» (من الغلاف الخلفي لكتاب «تعرّف إلى ذكائك»). هذا الجمال يقبع بعيدًا جدًا عن واقعنا الحياتي، تمامًا كالذكاء الإنساني الحقّ الذي يسمو بالإنسان ليحقّق توازن العيش بين المادة واللامادة في ظل الحبّ الواعي القائم على معرفة النفس.

فلنسعَ إلى هذا الجمال ونحن نعمل على الارتقاء في كل حيّز من نفوسنا وحياتنا، فنأخذ إنسانيتنا دورها في توجيه التطور التكنولوجي لمصلحة تطوّر الفرد أقلّه تفاديًا للمثل القائل «انقلب السحر على الساحر»، فلا يعود الإنسان أسير التكنولوجيا التي ابتدعها!..